ببطء شديد باتجاه قريتي راشيا الفخار وكفرحمام بينما اصبح الطيران اشد شراسة واعنف قصفا وفي حين تركز القصف على المواقع الامامية الا ان المواقع الخلفية لم يترك لها مجال الراحة حيث تعرضت هي ايضا لغارات جوية ورمايات من المدفعية الثقيلة البعيدة المدى والصواريخ الثقيلة ارض ــ ارض من عيار ١٣٠ و ٢٤٠ ملم . كان اليوم الثالث يوم الملحمة ، كان من الصعب على المراقبات الثابتة ان ترى تفاصيل ما يجري في الهبارية وراشيا الفخار وكفرحمام فقد سد الدخان وغبار القصف الاودية وحجب امكانية الرؤيا .

ادرك العدو انه ان لم يفلح في اليوم الثالث بدخول هذه القرى الثلاث على الاقل وهي اول القرى التي يمر عليها في تقدمه فان الامر سيغدو اهانة لغطرسته ومن المسلم به ان العدو يدرك ان بامكانه ان يحتل في النهاية معظم مواقع تواجدنا ولكن حين علم ان المدة اصبحت في تقديره تحسب بالاسابيع لا بالساعات ولا بالايام ناهيك عن اعداد الخسائر التي تعرضت لها قواته ، وهذا سيفرض عليه وضعا لا يستطيع معالجته كما انه ليس في صالحه وقد يقود في التالي الى معركة تتجاوز لبنان مما سيعزز موقف المقاومة بدلا من ان ينهي وجودها ، قرر الهجوم .

كانت الطبيعة مع ثوارنا حيث ضيق الطريق لم يكن يسمح بالتقدم الا برتل منفرد ــ دبابة تتبع الاخرى ــ بدلا من تقدمها بشكل خط حرب خارج الطريق . كان التقدم خارج الطريق مستحيلا ، ولهذا كان تقدم العدو بطيئا وضعيفا وكثير الخسائر ، وعندما كانت تتدمر له آلية ، دبابة او ناقلة جنود ، كان يضطر للتأخر مدة غير قصيرة لاخلائها من وجه التقدم .

دهش العدو لبطولة ثوارنا . هاجمنا بالكوماندوز فاتاح بخطته هذه لكافة المقاتلين ان يشتبكوا معه بعكس محور تقدم الدروع حيث من المعلوم ان الذين يشتبكون مع دروع العدو عادة قلة لان توزيع سلاح مقاومة الدروع في كل جيوش العالم لا يكون لجميع المقاتلين ولكن لعدد ينتقى من بينهم .

اما في الهبارية فقد كان كوماندوز العدو صيدا ثمينا لثوارنا بكل اسلحتهم ، لقد عجز العدو ولطيلة ثماني ساعات كاملة من دخول الهبارية ، رغم انه انزل قواته المحمولة جوا على بعد ٥٠٠ متر عنها كان جنود العدو يشاهدون وهم يقفزون من الطائرات العمودية التي تنقلهم على ارتفاع ٤ ــ ٨ امتار ، وكانت رشاشاتنا المتوسطة ومدفعية الهاون توجه اليهم اثناء الانزال فتوقع فيهم الخسائر ، كانت عملية الاسقاط تتم في نقاط منتشرة وبسرعة فائقة تجنبا لمقاومة ثوارنا حيث تم الاسقاط من طائرات معدة ذوات اربعة ابواب .

وعلى طول امتداد اليوم الثالث ورغم ان الساعات كانت تمر بطيئة ثقيلة في انتظار حلول الظلام كانت تلال الهبارية وراشيا وكفرحمام وصخورها تتعرض للقصف الشديد فتتفتت وتتحول الى شظايا تزيد على شظايا الاف الاطنان من القنابل التي تساقطت فوق ارض المعركة .

كانت معنويات ثوارنا في القمة وكان المواطنون يعبرون عن روح النخوة والحمية التي تجيش في صدور العرب ، كان الكل يريد ان يشارك . المليشيا حملت اسلحتها واشتركت في المعركة وما استشهاد مختار قرية الهبارية في اليوم الاول الا علامة مضيئة على طريق نضال هذا الشعب . كان الاطفال يغادرون منازلهم في القرى الخلفية وعلى بعد ٣ ــ ٤ كلم عن ارض المعركة فقط رغم القصف الشديد الذي يتناهى الى اسماعهم ورغم انهم يشاهدون الطيران باعينهم ، كانوا يخرجون الى قواعدنا في الخط الثاني يحملون لها الخبز والماء والفاكهة ، كان الكل معنا ، كنا نقرأ اصالة شعبنا العربي في عيني كل كهل ، في عين كل ام ، في عين كل طفل .

كان التساؤل الحائق يتردد لماذا انتم وحدكم ؟ ثلاثة ايام بلياليها والمعركة على اشدها وانتم ــ تقاتلون وحدكم دفاعا عن الامة العربية ، فلسطين ليست لكم وحدكم ــ قالها شيخ جليل جاوز السبعين ــ لقد عشت في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كنت خياطا في حيفا وكان من لبنان كثيرون في حيفا . شتت معظم اهلنا في فلسطين ، قلنا له يا عم لو لم نكن من الامة العربية لما قاتلنا دفاعا عنها ، نحن من هذه الامة وليس غريبا ان نقاتل ، انظر الى هؤلاء الشباب الذين ترتسم على وجوههم علامات البطولة انهم من ليبيا الحرة .

وانقضى اليوم الثالث او كاد قبل ان تتمكن قوات العدو من دخول قرية راشيا الفخار بالدبابات في حين ظل ثوارنا في كفرحمام يقاتلون حتى حل الظلام فانقسموا قسمين قسم بدل موقعه الى المواقع المعينة له في الخطة، والاخر انتظم في مجموعات صغيرة للاغارة الليلية وهذا كان في راشيا ايضا ، اما في الهبارية فقد تراجعت قوات العدو مدحورة ولم تتمكن من دخولها .